(١٠٠)

"سواسية"

استرعى انتباهها كلمة "هم" الجمع التى لجأت إليها كل جماعة مجتمعة مع بعضها البعض لتمكنها من التعبير عن الغيرية، فأدَّت وظيفتها على أكمل وجه خاصة فى مقابلتها لكلمة "نحن". ولفت نظرها أيضًا أن "تاء" التأنيث المضافة لكل وصفٍ مذكر فى نهايته، أو التى تحل محل حرف التذكير فى بداية أى فعلٍ مذكر معلنة وجودها وحضورها الملحوظ، ما زال يأبى الكثيرون أن تفيد أى معنىً للإضافة. وكأن الضمير "هم" قد تم التعامل معه بضمير صِرف، بينما حرف "التاء" ظل مُحتقَرًا ليس لكونه حرفًا، بل رغبةً فى أن يظل حرفًا مجهولاً لا قيمة له، ومستضعفًا وسط الكلمات لا مكانة له، حتى لقد أضحت كل من تحمل تاء التأنيث تعيش وكأنها نصف كائن يظل منتظرًا دائمًا للنصف المذكر الذى سيكمِل كينونتها، فتصبح واحدًا صحيحًا يظل بقية عمره لا يحميه سوى نصفه المذكر، الذى يفخر من حينٍ لآخر بأنه نجح فى أن يُكمِّل ذلك النصف المؤنث الضعيف، غير متقبلٍ هو لوصفه بالنصفية حتى وإن ظل بلا أنثى طوال حياته.

وفى الجانب الآخر لم يكتفِ كل من قال "هم" بالاستعلاء على كل أولئك الـ "هم" ممن غيرهم، ليصلوا بذلك بأنفسهم إلى مرتبة الأغيار والمخالفين، وليس فقط المختلفين عن غيرهم فى أشياء والمشابهين لهم فى أخرى. لقد قادهم

هذا الاستعلاء إلى طريق الاستعداء الذى ملأ قلوبهم غلاً دفينًا، وحقدًا موتورًا، وغضبًا لا مبرر له. ومن الاستعلاء ثم الاستعداء كان لابد من تأجج الصراع ثم القتال بين أولئك الـ"هم"، وبين من ينظرون إليهم على أنهم "هم" آخرون.

ولم يدرك كل "هم" يحارب "هم" آخرين أن هناك مخلوقًا غيرهم بالفعل ومختلفًا فى مادة خلقه عنهم، قد أقسم منذ أزلٍ قديم على التربص بهم ليمنع وصولهم لنعيم الخلد الذى يفوز به من وعى أن جميع البشر ليسوا سوى "نحن"، وأن الحياة التى يتنازعون متاعها الزائل قصيرة وفانية، ولا تستحق التمسك بضمير "هم" إذا كان موصلاً للتمييز وللتميز عن "نحن"، وأن الدنيا برغم كونها مؤنثة بالفعل، إلا أنها ستحلو أكثر كلما تمت إضافة "تاء" التأنيث لكل ما فيها، طالما كانت هذه الزيادة ذات إفادة، وليست بحكم العادة.